قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم
الدكتور نقولا زيادة

كان اول ما قرأت من عدد « الآداب » الماضي انباء النشاط الثقافي في الغرب وفي العالم العربي . وفي هذه الصفحات امور كثيرة يمكن ، ان يقف القارىء عندها ويطيل التفكير . ولعل اهمها احتجاب « القلم الجديد » ، وليست القضية هي احتجاب مجلة تربطني بصاحبها صداقة ، ولكنها قضية هذا الانتاج الفكري في العالم العربي ، وسبيل نقله ونشره بين الناس . ويترتب على ذلك تعيين المسؤول عن هذه الحالة . ففي الوقت الذي تنتشر فيه عشرات المجلات الاسبوعية العادية وتزدهر ، نجد ان العالم العربي يدفن الواحدة بعد الاخرى من مجلاته الجدية ـ الاسبوعية والشهرية . ولست ادري ألقارىء يوجه اللوم ام للأديب ام للناس ام للحكومة؟ واري ان تستفتي « الآداب » قراءها حول هذا الموضوع* ، بل احسب ان الامر حري باكثر من استفتاء واحد يكتب فيه المرء بضعة سطور ، ثم يقرأ مجموع ما كتبه اربعة او خمسة ثم يطوى الامر . القضية بحاجة الى ان تثار من اسسها . وقد لفت نظري ، في العدد نفسه من « الآداب » المقال الماتع الذي كتبه صديق آخر هو الاستاذ جبرا ابرهيم جبرا ، وعرض فيه للادب الاميركي الحديث . لفت نظري في هذه المناسبة لانه عرض الى هذه الاشياء التي تنافس الادب الجدي عندهم ، واشار الى المجلات الصغيرة (Little Magazines) التي هي « محدودة الانتشار ولكنها واسعة النفوذ ، واكثرها مجلات فصلية قليلة الصفحات اذا قيست بالمجلات الشعبية التي تباع بالملايين . والشطر الاكبر منها يقوم باصداره وتمويله هيئات جامعية » . واذن فالادب الجدي الرفيع يحتاج الى دعامة حتى في اميركا ، فلنتدبر نحن امرنا قبل ان يفلت الامر من ايدينا نهائياً .

ولن اطيل الوقوف في هذه الصفحات ، رغم ما فيها مما يحتاج الوقوف ، لكنني قبل ان اترك انباء النشاط اود ان ارجو اصحاب «الآداب» الكرام ان يذكروا اسماء الكتب الاجنبية بلغاتها الاصلية ، فذلك يسهل علينا الوصول اليها .

ولنرجع الآن الى العدد من اوله ، فنقف مع الدكتور سهيل ادريس حول « النقد الذي نريد » ، والذي يريد فيه الكاتب من الناقد الواعي ان يكون مؤرخاً أدبياً ، يسهم في خلق التيارات التي يقوم عليها التطور . كما يريده ان يعيش تجربة الكاتب وتجربة القارىء في وقت واحد . ولست اشك في ان الذي يطلبه الدكتور ادريس من الناقد كثير ، ولكن عندما نفكر فيه نجده حاجه ملحة بالنسبة لنا . فنحن ، في هذا الدور الذي نعيش فيه ، وهذا الطور الذي نجتازه ، بحاجة الى من يخلق لنا تيارات توجهنا . والمراقب للنقد الادبي في عالمنا العربي ، يبدو له أن امنية الدكتور ادريس بعيدة المنال ، لكن ما لم نواجه الامور مواجهة حقيقية صريحة فاننا لن نتمكن من الوصول الى هذه الامنية . وفي مقال الاستاذ جبرا عن الادب الاميركي اشارة الى النقد الادبي يقول فيها « والظاهرة التي يلحظها القادم الى هذه البلاد لأول مرة هي العناية العجيبة بالنقد الادبي التي يبديها قسم كبير من الادباء ... حتى كاد النقد ... ان يحل محل الكتابة الابداعية عند بعضهم . وغدا النقد يسمى في الغالب النقد الابداعي » . وكأني بامنية الدكتور ادريس تتحقق في اميركا ، لكني آمل ان لا تقف عند هذا الحد في التحقق بالنسبة الينا .

في العدد الماضي من « الآداب » قصتان سميتا كذلك ، وثالثة اعتبرها انا من نوع القصص . والاولى ، « لكي يموت وحيداً » ، مترجمة عن الفرنسية ، وقد سرني ان اقرأ قصة تعالج النفس البشرية على هذه الدرجة من العمق وعلى هذا النوع من التحليل . والقصة انكليزية ، ولكنها نقلت الى العربية عن الفرنسية ، ومعنى هذا انها دارت على نفسها دورتين قبل ان عرفناها . ولست اشك في ان ذلك اكسبها بعض الدوار . وكم كنت احب لو انها نقلت عن الاصل الانكليزي رأساً . وعندي اقتراحان اود ان اقدمها الى المعنيين بهذه الامور . الاول هو ان الذي يعجب بقصة يقرأها في لغة اجنبية غير لغتها الاصيلة ، ويرى انها تستحق النشر في الآداب (او في غيرها من المجلات العربية) ان يقترح ذلك على المحرر ، ويطلب منه

* من حسن المصادفة ان قلم التحرير كان قد وجه الى عدد من اصحاب المجلات الادبية ورجال الفكر في العالم العربي استفتاء في هذا الموضوع بالذات ، وذلك قبل ايام قليلة من وصول مقال الدكتور زيادة . (الآداب)

ان يكلف من ينقلهـــا من لغتها الاصلية الى العربية رأساً . والاقتراح الثاني هو ان يذكر اسم القصة باللغة المنقول عنها . والقصة الثانية هي « ازمة مالية » . واحسب ان كثيرين من الناس عندما يدعون صديقاً لهم يوماً يضطرون الى الاقتصاد في نفقات غـدهم . وقد صنع الكاتب من ذلك قصة ، ومع ذلك فلست مطمئناً الى ان الحـــوار ، الصامت والناطق ، الخفي والباطن ، ادى الى حبكـة موفقة . واما « اربعة جدران وكتاب » فهي نوع من القصص الوصفي (الجرافيكي) فيه متعة ولذة .

واود ان امر بمقالين مراً خفيفاً . ذلك هما « الجمال المصنوع ليس من الادب » و « الزمن في الفكر الاسلامي » . اود ان امر بهما مراً خفيفاً لانهما عرضا لقضايا قـــد ارى نفسي عاجزاً عن الخوض فيها .

وفي العدد مقالان من نوع الترجمة او السيرة . اما المقال الذي عرض لهوغارت فهو حري بان يكون اطاراً تاريخياً للحوادث التي مرت بحياة الرجل او مر بها . ولذلك ارجو ان يتلو ذلك مقال آخر يبين فيه الرجل كفنان صاحب مدرسة . واما المقال الذي عرض للرصافي بـــين السياسة والتاريخ فقد اثار حول حياة الرصافي ودراسته مسألة هامة هي الى اي حد يجب ان يدرس الرصافي في عالم الادب او عالم السياسة . وهو مقدمة صالحة لسلسلة من الدراسات توضح فيها قيمة الرصافي السياسية والادبية . فالرجل هضم حقه كثيراً ، وآن له ان تنشر حياته على الناس نشراً صحيحاً يوضح فيها ما له وما عليه .

وثمة اربع مقالات عرضت لنواح من الادب او عـــلى الاصح ، ثلاث مقالات واستفتاء . وهي الشعر اللبناني العامي ، والادب الاميركي الحديث ، وموسيقى الفاصلة ، والشعر العربي بين التقييد والتحرير . واذا قلنا ان الاستاذ مارون عبود جوّد الوصف واحسن التعبير ، فانمـــا نقول معاداً من قول الناس مكروراً . فقد عرف الناس الاستاذ عبود سيداً للقلم يصرفه كما يشاء اعواماً طويلة . والمقال مقدمة لدراسة وافية وعدنا بهـــا الكاتب في آخر المقـال ، ونحن بانتظار وفائه بوعده . ولكن الامر الذي نريد من المشتغلين بالشعر العامي وتاريخه وتطوره ان يبحثوه هو قضية العلاقة بين الزجل والغناء السرياني الديني .

والاستفتاء دلّ على ان القافية والوزن في الشعر العربي في ازمة ، لأن شعراءنا يجتازون ، منذ مـــدة ، ازمات نفسية ، ويمرون باختبارات خاصة ، وقد لا يكون باستطاعة القافية والوزن ان يسمحا لهذه الاختبارات الجديدة بان تبدو واضحة ضمن تلك الحدود . لكنهم يحاولون التعبـــير عن اختباراتهم باساليب تتفق والحدود حيناً ، وتثور عليها احيانـــاً . وسيمر وقت طويل قبل ان تتجلى الامكانيات وتتبلور الاساليب والسبل .

وسأنهي هذه الملاحظات العامة باشارة الى كتاب الشهر — فلسفة الظواهر — واهنيء الاستاذ اميل الشويري على نجاحه في تلخيص الكتاب بحيث نقل فكرته العامة الى القارىء العربي . وأحب لو ان بعض المشتغلين بعلم النفس في العالم العربي يتناولون بعض قضايا هذا العلم التي عرض لها سارتر ، فيوضحونها للقراء . ففي الوقت الذي يريد بعض هؤلاء الناس فيه ان يعتبروا علم النفس علماً على شكل العلوم الطبيعية ، ويريدوا ان يوضع مع الابحاث العلمية في كليات الجامعات ، تأتي عبارات سارتر مقوضة لكل دعاواهم ، مثل قوله « بالرغم من انتحال علم النفس الصفة العلمية فانه لا يمكنه ان يقدم للانسانية سوى مجموعة من الوقائع الشاذة التي لا يربط بين غالبيتها اي رباط . ولا تأتي هذه الفوضى صدفة ، وإنما تأتي من مبادىء علم النفس الصميمة » . (وبهذه المناسبة ليسمح لي السيد الشويري بان اشير اليه باستعمال مصادفة بدل صدفة) . فهل يكافأ الاستاذ شويري عـــلى جهده بنقل الكتاب ملخصاً بان تثار هذه القضايا على صفحات « الآداب » ؟

نقولا زياده

وكلاء « الآداب »

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات
العراق : شركة فرج الله للمطبوعات
البحرين : المكتبة الوطنية لصاحبها ابراهيم محمد عبيد
الكويت : مكتبة الطلبة لصاحبها عبدالرحمن الخرجي
تونس : دار الكتب العربية الشرقية لصاحبها محمد خوجة
طنجه : مكتبة الصاحب
ليبيا : المكتبة الاهلية — بنغازي
مصر : دار الكشاف ٣٧ شارع عبدالعزيز بالقاهرة
باريس : المكتبة الشرقية
51 Rue Monsieur - le - Prince